أثر تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية

د. نورة بنت سعد العريفي
عضو هيئة تدريس –جامعة الملك سعود

حث الإسلام على العلم، فالفرائض الواجبة على الكبار تستلزم التعليم، فأول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم" اقرأ باسم ربك الذي خلق"، حيث كانت كلمة اقرأ أمر واضح وصريح، والقراءة والكتابة مفتاح العلم، وهذا دلالة قاطعة على دعوة الإسلام للعلم والتعلم.

ويعد علم تعليم الكبار ضمن أقدم العلوم نشأة في التربية ، وكمصطلح لم يستخدم إلا في الربع الأول من القرن العشرين ، ذلك أن تعليم الكبار كممارسات وجد منذ أقدم العصور لمواجهة الأدوار المتعددة والمتغيرة لحياة الإنسان وحياة المجتمعات ، فقد نشا منذ بدء الخليقة وتعليم الله تعالى لسيدنا آدم عليه السلام ، ثم تطور في العصور القديمة ، ثم في العصور الوسطى المسيحية والإسلامية ، حيث تنتهي ببلوغ العصور الحديثة ، لكن مرحلة التأصيل لعلم تعليم الكبار في القرن العشرين قد بدأت متأثرة بالثورات الاجتماعية والاقتصادية والتقنية وما صاحبها من مشكلات متزايدة في الحياة المعاصرة (يونس،٢٠١٧).

ويذكر متولي (٢٠٠٧) أن تعليم الكبار لم يعد يقتصر على محو الأمية فحسب ، بل أصبح ينظر التعليم بأنه لكل أنواع التعليم التي من شأنها خدمة المتعلم الذي تجاوز الثمانية عشر عام . ويمكننا القول إن تعليم الكبار في العصر الذي نعيشه تجاوز فكرة تعليم الأميين الى مواصلة التعلم للمتعلمين وغير المتعلمين، وهذا ما دعنا اليه الإسلام في طلب الاعلم من المهد الى اللحد.

وكما نعلم أن الإسلام قد حثنا على العلم، فالفرائض الواجبة على الكبار تستلزم التعليم، فأول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم" اقرأ باسم ربك الذي خلق" (سورة العلق:ايه١)، حيث كانت كلمة اقرأ أمر واضح وصريح، والقراءة والكتابة مفتاح العلم، وهذا دلالة قاطعة على دعوة الإسلام للعلم والتعلم ،و كذلك قوله تعالى " هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون" ، حيث نجد في الآية تعظيم للقيمة الإنسانية التي يمثل العلم فيها الدور الكبير ، بما تكسب المرء من وضوح الرؤية لكل الأمور ، و بالتالي لن يتساوى مع من لم يتعلم وينقصه الفهم الواضح المستنير ، وكذلك قول رسولنا الكريم عليه الصلاة و السلام فيما روي عن أنس بن مالك (طلب العلم فريضة على كل مسلم)، و كذلك قوله صلى الله عليه و سلم (من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً الجنة)، و في تلك الأحاديث نستنتج أن الإسلام حث و أوصى في عدة مواضع على طلب العلم ، كما اتضح أنه وسيلة للوصول الى ما يسعى اليه كل مسلم في حياته للجنة.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث فيما يلي:

١/ تأصيل علم تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية.

٢/ سيستفيد الباحثون والقائمون على تعليم الكبار والمربون من الدور البارز لتعليم الكبار في الحضارة الإسلامية.

٣/ استنتاج الانعكاسات الفكرية و المعرفية لتعليم الكبار في الحضارة الإسلامية.

أهداف البحث:

١/ التعرف على تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية.

٢/ تعرف على المتعلم الكبير في الإسلام.

٢/ الكشف عن المؤسسات التي من خلالها نشأ تعليم الكبار في الإسلام.

٣/ بيان مراحل تطور حركة تعليم الكبار في الإسلام.

حدود البحث:

اقتصر البحث على السرد من خلال الوثائق لتعليم الكبار في الحضارة الإسلامية من حيث (تاريخه، مستويات تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية، المتعلم الكبير في الإسلام، مؤسسات تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية، أساليب تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية، مراحل تطور حركة تعليم الكبار في الإسلام).

إجراءات البحث:

منهج البحث:

دراسة تحليلية و مكتبية لتعليم الكبار في الحضارة الإسلامية .

الدراسات السابقة:

دراسة الرشدان (١٩٩٤) بعنوان: تطور المهنة التعليمية والإعداد المهني لمعلمي الصغار وأساتذة الكبار عند المسلمين وأثرة في التعليم المعاصر:

وقد هدفت الدراسة إلى ابراز ملامح التطور الذي صاحب مهنة التعليم عملية الإعداد المهني لمعلمي الصغار وأساتذة الكبار عند المسلمين في العصور الوسطى وأثر ذلك على التعليم المعاصر، استخدم الباحث المنهج التاريخي، و اعتمد فيها الباحث على مراجع قديمة وحديثة، وتوصل الباحث إلى أن الصفة العامة في إعداد معلمي الصغار هي طريقة الاعداد الذاتي، أما أساتذة الكبار فقد كانت لهم درجات وظيفية مختلفة.

دراسة صابر (١٩٨٨) بعنوان: تعليم الكبار في الإسلام.

والتي أكدت على أهمية العودة إلى الإسلام ومبدأ التعليم في الإسلام، وتعليم الكبار في الإسلام، والتعليم المستمر مدى الحياة، ومحو الأمية في الإسلام، وأهمية هذا التراث، مما كتبه من علمائنا، كما أكدت الدراسة على الكشف عن وجود كثير من الأفكار والنظريات النافعة التي تعين في حل كثير من مشاكل التربية، مثل دمقراطية التعلم والزامه وتعميمه، وتمويله وحل مشاكل، وما يمكن أن يقدمه الفكر التربوي الإسلامي بالتلاقي مع الأساليب العلمية الحديثة، والأطر الفكرية المعاصرة.

دراسة إبراهيم، (٢٠٠٧)، بعنوان: تعليم الكبار عبر العصور:

هدفت الدراسة إلى إبراز نشأة تعليم الكبار وتطوره في العصور المختلفة بدءا من العصور القديمة ممثلة في الحضارات المصرية والهندية القديمة والصينية القديمة والإغريقية القديمة، ثم تناول تعليم الكبار في العصور الوسطى (المسيحية –الحضارة الإسلامية)، وقد استخدم الدراسة أسلوب السرد التاريخي، كما تطرقت الدراية الى أن الحضارة الإسلامية تنوعت مؤسسات تعليم الكبار فيها والتي منها: المساجد، وقصور الأثرياء، وحوانيت الوراقين، ومنازل العلماء، ودور والجمعيات والمجالس العلمية والأدبية. واتسم تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية بالتعلم مدى الحياة، والتعليم المفتوح، وحرية الأساتذة، والارتحال في طلب العلم، والمساواة بين الذكر والأنثى.

الاطار النظري:

الأصول التاريخية لتعليم الكبار :

يعد التاريخ معمل الباحثين في العلوم الاجتماعية وهو وعاء التجربة الإنسانية فالماضي شرط لفهم الحاضر وخدمة المستقبل وتعد دراسة التاريخ عاملا مهما في فهم تطور التعليم ومعرفة القوى المؤثرة .

والواقع أن تعليم الكبار له جذور ضاربة في أعماق التاريخ البشري القديم رغم أنه لم يتأصل في تشريعات وممارسات منظمة إلا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر لدواعي النهضة الصناعية واتساع الحركة العلمية والفنية وانتشار المبادئ الديمقراطية مع ظهور التحولات الاجتماعية المختلفة في الدول الأوروبية (إبراهيم وآخرون،٢٠٠٩).

وقد اعتمد رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم على الكبار في نشر دعوة الإسلام فعلمهم ورباهم ولقنهم مبادئ الإسلام فكانوا دعاة ومبشرين غيروا وجه التاريخ وأنقذوا العالم من الضلالة والظلام إلى نور الإيمان والمعرفة الحقة ووراء ذلك دون شك مجموعة من العوامل تصدرها الاهتمام بتعليم الكبار، كما فمن المعروف قبل الإسلام وظهور نبي الهدى محمد وأن أحوال العرب تردت في العديد من المظاهر، حيث يذكر منها الحميدي (١٩٩٨) ما يلي :

المظهر الديني: فقد بالغ كبار العرب في عبادة الأصنام حتى ملأوا الكعبة بها، وكان لكل قبيلة صنم خاص بها، ولكل بيت صنم خاص بأهله، وكانوا يقدسون هذه الأصنام ويعبدونها من دون الله، ويتقربون

لها بالقرابين كما كانوا يستخيرونها في أمور دنياهم ويجعلون لها نصيبا من أنعامهم وثمارهم. ويمكننا القول هؤلاء الرجال كانوا بحاجة الى الخروج من هذا الظلام، وبحاجة الى علم يرشدهم ليبين لهم مدى الجهل والقسوة التي يعيشونها.

ويضيف متولي (٢٠٠٧) على المستوى الأخلاقي والاجتماعي: كانت القبيلة هي أساس التنظيم الاجتماعي، ولكل قبيلة شيخ يطيعه الجميع، وكان أفراد كل قبيلة يتعصبون لقبيلتهم ويدافعون عنها ضد أي اعتداء، ونشأ عن تعصبهم الشديد للقبيلة ومصالحها نزاعات وصراعات وتقاتل بين القبائل بعضها وبعض بسبب التزاحم على موارد المياه أو التفاخر بالأنساب، كما سادت بينهم عادات سيئة ومنها شرب الخمر، ولعب الميسر، والربا، ووأد البنات.. إلخ. ويمكننا من ذلك أن نجد أنهم كان بحاجة الى العلم والمعرفة ليبين لهم الحق من الباطل وينتشلهم من تلك العادات السيئة.

وفي هذه الظروف الصعبة تلقى محمد رسول الله من الله عز وجل الرسالة لهداية البشر وإخراجهم من ظلمات الشرك والجهل والظلم، إلى نور الإسلام والتوحيد بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا بطلب العلم، والتعاون على البر والتقوى، لقد كان الإسلام بحق معجزة كبرى ليس في تاريخ العرب فحسب، بل في تاريخ البشرية عامة، حيث استطاع الإسلام في أقل من ربع قرن من الزمان أن ينقل العرب من وضع الى وضع مختلف (أبو خليل ،٢٠٠٧). وهذا بالفعل ما لمسناه مما سبق عند استعراض مظاهر الحياة، وحجم المعاناة التي يعيشونها بسبب الجهل والظلام.

مستويات تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية:

اعتمد الرسول عليه الصلاة والسلام على الكبار في نشر دعوته فعلمهم ولقنهم مبادئ الإسلام فكانوا دعاة غيروا وجه البشرية، وفيما يلي صنف لنا يونس (٢٠١٧) تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية الى عدد من مستويين وهما:

أولاً: المستوى التنظيري/ حيث يدل على أن هناك الكثير من الأدلة والشواهد المؤكدة على أهمية تعليم الكبار وأهمية طلب العلم من القرآن والسنة وما نقل عن الصحابة والتابعين لذا فإن الإسلام اهتم بتعليم الكبار عن طريق الاخبار بمبدأ التربية المستمرة من المهد إلى اللحد، كذلك الحرص على توفير الدافع لطلب العلم، وجعل طلب العلم فريضة على كل فرد.

ثانياً: المستوى التطبيقي / وقد تناول المستوى التطبيقي الكثير من الشواهد فعلى سبيل المثال، تطبيق الرسول عملياً مبادئ تعليم الكبار من خلال دار الأرقم، كذلك يعد الرسول عليه الصلاة والسلام أول من قام بحملة لمكافحة الأمية من خلال فداء أسرى بدر بتعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، كذلك جعل المسجد النبوي ومسجد قباء مركزاً لتعليم الكبار، ايضاً انتشار المساجد وبيوت العلم في الخلافة

الإسلامية لتعليم الكبار، كذلك تحولت بيوت العلماء وقصور الخلفاء والحوانيت كمراكز لتعليم الكبار (المعايطة،٢٠١٥).

المتعلم الكبير في الإسلام:

ان المحور الذي تدور عليه التربية الاسلامية هو الانسان، الذي وهبه الله العقل وفضله على سائر مخلوقاته، وجعله خليفته في الارض (الحلي،١٩٨١). فعندما شاءت إرادة الله تعالى وحكمته أن ينزل سيدنا آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض ليكون خليفة في الأرض ويعمرها، ولا شك أن هذه الخلافة وهذا الاستعمار في الأرض لترقية الحياة لن يكون بالجهل وعدم المعرفة، ولكن بالعلم، لذا بدأ الله تعالى تعليم البشرية كلها بتعليم أدم عليه السلام، وتجهيزه لحمل أمانة التكليف فقال سبحانه: " وعلم آدم الأسماء كلها ..." (سورة البقرة: اية ٣١)، حيث نستنتج من هذه الآية ما اختص الله به آدم من العلم على الملائكة من علم أسماء كل شيء دونهم، وذلك بعد سجودهم له.

وإذا كانت رسالة الاسلام إلى البشر بدأت بتعليم آدم الأسماء كلها فإنها ختمت برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، التي بدأت أيضا بأمر الله تعالى لسيدنا محمد بأن يقرأ ، حيث توجهت الى سيدنا محمد (الكبير الأمي) في أول لحظة من لحظات اتصاله بالملا الأعلى إلى أن يقرأ باسم الله الذي خلق الإنسان من نطفة دموية جامدة عالقة ، ثم أكرمه وأحسن تصويره ، فصار إنسانا يعلم فيتعلم ، وحين تولى الله تعالى بتعليم البشر وتربيتهم ، فقد أودع فيهم قوى الإدراك وملكاته الظاهرة والباطنة قال تعالى : " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " (سورة النحل : آية ٧٨).(يونس،٢٠١٧).

ويذكر متولي (٢٠٠٧) انه حين جاء الرسول الاعظم بالدعوة الإسلامية، عمل على توحيد الامة تحت لواء دين واحد وتربية واحدة مشتقة فلسفتها من ذلك الدين، فكان عمل الرسول صلى الله عليه وسلم حاسما وسريعا جدا وبدأ اول تعليم للكبار في دار الأرقم بن ابي الارقم معلمهم الرسول وكتابهم القران الكريم فجمعهم لعبادة إله واحد، ونظام تربوي واحد، وكتاب واحد، فتحمسوا للدين الجديد، وتوحدوا، وانتقلوا من عبادة الأوثان إلى عبادة الله ومن الجهل إلى العلم، ومن التعصب الى التسامح ولعل اول تعليم للكبار كان في دار (الارقم بن أبي الأرقم). وقد اشتهرت هذه الدار في الاسلام حتى أطلق عليها اسم (دار الإسلام)، وقد بلغ عدد المسلمين في السنوات الخمس الأولى بعد البعثة من الرجال نحو أربعين ومن النساء ألف امرأة (الحلي،١٩٨١). حيث نستنتج أن كبار السن من المسلمين من الرجال والنساء اتخذوا من تلك الدار مكاناً لتعليمهم ونظروا من خلاله النور الذي سينقلهم الى الدين والحياة الصحيحة.

وتعقيبا على ذلك فقد نجد أن من أهداف التربية الإسلامية هو هداية الكبار وتربيتهم بطريقة تخالف في أسسها التقاليد التي سار عليها العرب في الجاهلية. ويذكر الغامدي (٢٠٠٨) أن الرسول الكريم توجه إلى

الكبار يعلمهم أمور الدين، لأنهم هم المكلفون، ولأنهم هم القادرون على الفهم والتطبيق الفوري، ولأنهم في النهاية هم القادرون على إرشاد أهلهم وذويهم من الرجال والنساء والأطفال، ومن ثم تطورت اغراض تعليم الكبار وتعددت مؤسسات التعليمية التي نشأت في فترات متباعدة وتطورت في وظيفتها لتحقيق أغراض فرضتها حاجات المجتمع الإسلامي النامية والمتطورة، فكانت هذه المؤسسات نتاجا إقليميا لأنها عكست صورا المجتمع في تطوراته المختلفة.

مؤسسات تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية:

هناك العديد من المؤسسات التي تعتبر مكاناً للتعليم والتربية في الحضارة الإسلامية، والتي ساهمت في تعليم المسلمين، نذكر منها:

١/ الكتاتيب:

وهي من أقدم المنشآت التعليمية التي يتعلم فيها الكبار والصغار، حيث لم تكن الكتاتيب على نمط واحد لكنها اختلفت من حيث قدرة المعلم ومن حيث غرض التعليم، فهناك نوع من الكتاتيب كان لتعليم القراءة والكتابة، وقد وجد قبل ظهور الإسلام وعاصره ونما بنموه، ونوع آخر من الكتاتيب وجد بعد الإسلام واختص بتعليم القرآن وكانت ملحقة بالمساجد، وانتشرت الكتاتيب، وكان التعليم فيها غير إجباري، بل كان نابعا عن مجتمع يشعر بقيمة التعليم وأهميته(يونس،٢٠١٧).

٢/ المسجد:

ويذكر المعايطة (٢٠١٥) أن تاريخ الإسلام والتربية ارتبط في المجتمع الإسلامي بالمسجد، لأنه المكان الرئيس لنشر الثقافة الإسلامية، وفي المسجد كانت حرية اختيار المتعلم لما يتعلمه مكفولة، حيث إن الطلاب لا يدفعون أجرا، حيث كان تقسيم الطلاب إلى نوعين، الأول: يتمثل طلاب منتظمون في تلقي الدروس، والثاني: طلاب مستمعون يذهبون وقت فراغهم بين حين وآخر لاستماع بعض الدروس.

ويمكننا الاستلال أن المسجد كان من أهم المنشآت التربوية في المجتمع الإسلامي بالنسبة للكبار الذين يريدون التعمق في بعض جوانب المعرفة والاستزادة منها، مما أدى إلى خصوبة الإنتاج الفكري في التراث العربي الإسلامي. ويذكر أبو خليل (٢٠٠٧) أن دور المسجد كان في تربية الناس على الفضيلة، وحب العلم، فكان المسجد بداية انطلاقة تعليم القراءة والكتابة، أي بدء محو الأمية من مسجد رسول الله، حيث كان يجتمع فيه الراشدون فيستمعون للخطب ويأخذون الدروس العلمية. وبذلك يبرز لنا الدور المؤثر للمسجد وانه نقطة بارزة في التحول العلمي لدى المسلمين حيث كان اجتماعهم للتعلم ولعقد ما يخص القضاء وما يخص الحروب والشورى في كل أمرهم.

٣/ الخوانق والزوايا والربط والبيمارستان:

ويذكر المعايطة (٢٠١٥) أن الخانقة كلمة فارسية الأصل، وتعني البيت، حيث تبنى على شكل مساجد للصلاة تزود بها غرف لمبيت الفقراء، ويتلقون فيها العلم ويدرسون بها الفقه والدين واللغة. أما الرباط فيطلق على المكان البعيد الذي يرابط فيه الجيوش المسلمين، وبعد ذلك أصبحت تطبق على الأمكنة التي يسكنها مجموعة من الفقراء الكبار والذين لا يجدون من يعولهم، حيث يتلقون من خلالها بعض الدروس. اما الزاوية، وهي تشبه الرباط الا أنها أصغر منه، ويقال إنه تكون غالياً في الصحاري والأماكن البعيدة، وقد تطلق أيضاً على أركان المسجد الذي يقام من خلاله حلقات العلم. ويضيف إبراهيم (٢٠٠٧) البيمارستان، وهي كلمة فارسية تعني المستشفى أو مكان المرض، حيث يتم من خلالها تدريس الطب والصيدلة للكبار من المتعلمين، ويتم من خلالها التطبيق عملياً.

٤/ المكتبات:

ويذكر المعايطة (٢٠١٥) أن المكتبات انتشرت في الإسلام انتشارا واسعا وزودت أغلب المساجد بمكتبات، وأنشأ عدد كبير من الناس دورا عامة للكتب، كما أنشأ بيت الحكمة في بغداد، ودار الحكمة في القاهرة تطويرا لهذه المكتبات التي شهدت انتعاشا فكريا ودرست فيها شتى العلوم، وقام العلماء بنسخ الكتب وترجمتها، ونستدل من ذلك أن هذه المنشآت قامت بدور كبير في تقديم الخبرات التعليمية للكبار الذين يريدون استكمال تعليمهم.

أساليب تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية:

يوجد العديد من الأساليب التي طرحها الباحثين والكتاب في الحضارة الإسلامية، وفيما يلي سنذكر أهم الأساليب التي تناولها متولي (٢٠٠٧) والمعايطة (٢٠١٥) في الحضارة الإسلامية في تعليم الكبار ومنها:

١/ أسلوب التدريب والممارسة العملية:

أن التدريب والممارسة كانت من أهم الأساليب التي عمل بها في الحضارة الإسلامية لتدريب وتعويد الكبار من المتعلمين، وذلك بعد كسب المعرفة مباشرةَ، وهو من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية، فمن خلال التدريب والممارسة يتحول ما تعلموه إلى فعل، ويدرك المتعلم الكبير العلاقة بين ما تعلمه وكيف سيطبقه. ويضيف إبراهيم وغبار وعبد السميع وكمال ومحفوظ والصايدي (٢٠٠٩) أن التربية الإسلامية تهتم بأسلوب التدريب والممارسة العملية، وتؤمن أن الممارسة العملية هي الترجمة الحقة لآيات القرآن وأحاديث الرسول إلى واقع سلوك، وينبغي على المربي المسلم أن يهتم بتنمية السلوك العلمي الرشيد.

وتعقيباً على هذا الأسلوب نجد أن التربية الإسلامية تهتم بالمتعلم الكبير وترى أن عليه أن يدرك إنما يحسن تعليمهم إذا مارسوا ما تعلموه من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة، كما يجب أن يهتم المعلم المسلم بإظهار الجوانب الوظيفية والتطبيقية لما يتعلمه المتعلم الكبير في واقع حياته كفرد، وفي واقع المجتمع

الإسلامي الكبير، وهذا يعني أن المعلم المسلم لا يقتصر على المعرفة اللفظية، وإنما يجب أن يتعدى ذلك ليربط بين الفكر والعمل والنظرية والتطبيق.

٢/ أسلوب الإقناع الفكري:

أن أسلوب الإقناع يعتبر من أهم وسائل التربية في تعليم الكبار، وهو من أول الطرائق التي استخدمها القرآن الكريم، وسلكها الرسول، في معظم الحقائق التي اشتمل عليها الإسلام، ويضيف إبراهيم وآخرون (٢٠٠٩) أن الإسلام قد دعا إلى استعمال العقل والتفكير المنطقي السليم في فهم حقائق الأشياء والتمييز بين الحق والباطل والصواب والخطأ، بالحجة والبرهان، وليس بالتقليد الأعمى أو بالإكراه.

وتعقيباً على ذلك تبرز لنا أهمية أسلوب الاقناع الفكري كأسلوب من أساليب تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية ، في أنه يساعد المتعلم الكبير على الاقتناع بما يتعلمه حتى يستطيع أن يستوعبه ، ذلك أن الكبير بحكم ان لديه خبرات سابقة فهو يختلف عن الصغير في حاجته الى الاقتناع بما تعلمة حتى يدركه و يقبله ، ويمكننا ان نستدل بذلك الأسلوب من خلا الحوار بين نبينا إبراهيم عليه السلام حين وجه قوله الى الله عز وجل فطلب منه أن يقنعه كيف يحيي الموت في آية " وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى" (سورة البقرة :آية ٢٦٠) ، حيث يتضح لنا من تفسير الآية حاجة إبراهيم أن يقتنع بالأمر مع أنه قد أمن به ، ولكن ليطمئن قلبه ويزداد قناعة و ايماناً.

٣/ أسلوب التلقين والحفظ:

حيث انتشر أسلوب التلقين والحفظ في الممارسات التعليمية القديمة وخاصة مع المتعلمين الكبار وما زال يمارس حتى الآن. ويرجع ذلك بالطبع إلى التصور الذي كان يؤمن به المعلمون بالنسبة لعملية التعلم فقد كان الهدف من التعليم في نظرهم حشو عقل التلميذ بالمعلومات عن طريق الحفظ والتلقين، وكأن التحصيل الدراسي غاية في ذاته ، وقيمة التلميذ تقاس بمقدار ما حفظه من معلومات وتحصل في عقله من معارف ، وليست التربية الإسلامية وحيدة زمانها في ذلك وإنما هي ممارسة شاعت في التعليم في مختلف المجتمعات وعلى مر العصور والأزمان وتركز الطريقة التلقينية على تعليم المواد الدراسية وحفظها وترديدها بدون فهم وتعطيها كل عنايتها دون اهتمام خاص أو عناية بالمتعلم نفسه ،وقد انتقد وفهم المربون المسلمون الطريقة التلقينية وطريقة الحفظ بدون فهم وفضلوا عليها طريقة المناقشة والحوار (المعايطة،٢٠١٥).

مراحل تطور حركة تعليم الكبار في الإسلام:

مر تعليم الكبار في المجتمع الإسلامي بمراحل أساسية كانت بمثابة محطات بارزة في الحضارة الإسلامية، حيث قسمها يونس (٢٠١٧) الى ثلاث مراحل وهي:

المرحلة الأولى: من ظهور الإسلام إلى انتهاء الدولة الأموية، وفي هذه المرحلة زاد الاهتمام بمواجهة انتشار الأمية بين المسلمين الأولين، وتعليمهم القراءة والكتابة، وحثت آيات القرآن الكريم على طلب العلم إجمالا وإتقان القراءة والكتابة يعد من أهم وسائله (إبراهيم وآخرون،٢٠٠٩). ويؤكد يونس (٢٠١٧) أن التربية كانت بالنسبة للكبار تتناول ناحيتين: الناحية الأولى هي حفظ القرآن الكريم وفهم
معانيه، ويؤكد ذلك تدوين القرآن ونشره، وعمل القراء الذين يحفظون القرآن في نشر العلم والتعليم حيث كان الخلفاء الراشدون يرسلونهم إلى الأمصار المفتوحة يعلمون الناس القرآن بالتلقين والحفظ، وبذلك يكون القراء هم أول المعلمين، والمساجد هي أول المؤسسات التعليمية في تاريخ الإسلام. أما الناحية الثانية هي تعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والشعر والأدب في الكتاتيب التي تقدم هذا النوع من التعليم.
ونستنتج من ذلك أن تربية الكبار كانت خاضعة لتعاليم الإسلام من جهة، والعادات العرب من جهة أخرى وتعتمد على القدوة والمحاكاة، وبرغم بساطة هذه المبادئ التربوية إلا أنها حققت أعظم النتائج، وأنتجت رجالا كبارا في مجتمع يسوده الرغبة في التعليم.
ويذكر متولي(٢٠٠٧) أنه قد حدثت بعض التغيرات في محتوي التربية في عصر بني أمية، فبعد أن كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الرشدين تقتصر على القرآن الكريم والشعر والأخبار، أصبح ترتيبها في عهد بني أمية تعليم القراءة والكتابة، ثم ركوب الخيل والرماية والسباحة، وتعليم القرآن والعلوم الشرعية واللسان العربي، ويرجع ذلك إلى أمرين في أن حكم الأمويين بني على الضغط فكانت حاجتهم أكثر إلى الشعراء الذين يتغنون بمفاخرهم، والقصاص الذين يزون للناس أخبارهم، كذلك أن نزعة الأمويين كانت نزعة عربية تهتم بالشعر والأدب، ولا تهتم بالفلسفة أو البحوث العلمية الدقيقة .
المرحلة الثانية: والتي بدأت من أوائل حكم الدولة العباسية إلى نشوء المدارس النظامية، وفي هذا الصدد تم المزج بين الشعوب الإسلامية التي وضع الإسلام أساسها ومزج في النظم الاجتماعية وفي الآراء العقلية (الرواف،٢٠٠٢) ، حيث بلغت الحضارة الإسلامية أوجها في العلوم والآداب والفنون في القرن الرابع الهجري برغم انقسام العالم الإسلامي إلى إمارات مستقلة كثيرة ، ونستدل من ذلك أن قوة المسلمين لم تعد وحدة واحدة كما كانت في الدولة الأموية ، حيث أن هذه الإمارات تنافست فيما بينها على تشجيع العلم والعلماء ، وأصبحت الدولة الإسلامية متحدة من الناحية العقلية رغم تفككها وضعفها سياسيا ، وانكب المسلمون على علوم الإغريق والفرس والهنود وترجموها وأضافوا إليها ، ووصلوا إلى مرحلة الخلق والابتكار والإبداع ، حيث برز عدد من العلماء في تلك الفترة من الحضارة الإسلامية : زمنهم (الرازي والفارابي وجابر بن حيان والكندي وأبي حنيفة والمتنبي وابن الرومي وغيرهم)، ويذكر الغامدي (٢٠٠٨) أن هذا العصر اتسم بروح التسامح واختلاف المذاهب ووفرة المحصول العلمي ، وكان لذلك أثاره في التربية ، فتنوعت الدراسات واتسعت المناهج ، وتميز هذا الدور بنشاط حركة الترجمة والتدوين و التأليف والبحث ، ولم يكن امر طلب العلم مقصورا على

فئة دون غيرها ، بل اشترك الجميع بما فيهم النساء في طلب العلم ، وأصبح أهم أغراض التربية الوصول إلى مناصب الدولة العليا التي تتطلب معرفة علوم الدين والدنيا .

المرحلة الثالثة: يذكر إبراهيم (٢٠٠٧) و الغامدي (٢٠٠٨) أن هذه المرحلة بدأت من نشوء المدارس النظامية إلى مجيء الأتراك العثمانيين، وقد دخل المجتمع الإسلامي في هذه المرحلة بظهور الأتراك السلاجقة (القرن الخامس الهجري) عصره الثالث، وفيه حاولوا إعادة الوحدة الإسلامية، ونجحوا نسبيا في المشرق ، وبشكل عام أصاب العملية التربوية شيئاً من الجمود ، وأصبحت العملية التعليمية في

نظر القائمين عليها ترديداً لمعارف السلف و التزام الموروث، وعلى الرغم من الظروف القاسية للمسلمين في تلك المرحلة ، الا انه برز علماء و مفكرون أسهموا في تجديد الفكر التربوي الإسلامي ، ومنهم ابن تيمية و ابن خلدون، كما تميزت تلك المرحلة من ذلك العصر بالنشاط الملحوظ في بناء المدارس، و في هذه المرحلة قرر نظام الملك إنشاء سلسلة من المدارس التي تعلم الدين ، فبدأ بتأسيس أولى هذه المدارس في مدينة بغداد عام ٤٥٧ هـ، وانتهى بناؤها في شهر ذي القعدة عام ٤٥٩ هـ وقد كلف بالتدريس بها أبو إسحاق الشيرازي ، وقد كانت مواقع إنشاء أولى المدارس النظامية هي: بغداد وبلخ ونيسابور وهراة وأصفهان والبصرة والموصل ومرو وطبرستان ، وقد بنى في كل مدرسة مكتبة ضخمة تشبع اهتمامات طلاب العلم .

وتعقيباً على المرحلة الثالثة نجد أنها بالفعل كانت مرحلة صعبة في حياة المسلمين، حيث حورب عدداً من العلماء، وعلى أثر ذلك مكثوا في السجن لسنوات ومنهم ابن تيمة الذي توفي بسجن القلعة، الا ان هذه المرحلة كانت فاصلة في كونها مرحلة نشوء المدارس النظامية التي لم تكن موجودة بشكل مسبق في المراحل الأولى والثانية من الحضارة الإسلامية، والتي استطاع المسلمين التزود من العلم، وخاصة الكبار الذين قد بالتعلم.

ختاماً:

إن للحضارة الإسلامية دور بارز و كبير في تأصيل تعليم الكبار ، فمن خلال حث الإسلام على العلم، فالفرائض الواجبة على الكبار تستلزم التعليم ، حيث كانت عملية التربية ذاتها من ضروريات حياة الإنسان تستمر باستمراره ، وكيف أن الأدلة والشواهد المؤكدة على أهمية تعليم الكبار وأهمية طلب العلم من القرآن والسنة وما نقل عن الصحابة والتابعين و كيف أن الإسلام اهتم بتعليم الكبار عن طريق الاخبار بمبدأ التربية المستمرة من المهد إلى اللحد، كذلك الحرص على توفير الدافع لطلب العلم، وجعل طلب العلم فريضة على كل فرد ، وكيف استمرت حياة الإنسان حيث أن الكبار وحدهم القادرين على مواجهة تحديات ومطالب الحياة ومن خلالها تعلم الكبار الكثير من الخبرات ، كما نجد مما سبق أن ما مرت التربية الإسلامية من أطوار تميز كل واحد منها بخصائص متباينة انعكست عليها بشكل واضح.

المراجع:

الحميدي، عبد الرحمن. (١٩٩٨م). بحوث ودراسات في مجال تعليم الكبار والتعليم المستمر (الجزء الثالث). الرياض، المملكة العربية السعودية: إدارة جامعة الملك سعود.

أبو خليل، شوقي (٢٠٠٧م). لوحات مضيئة في الحضارة العربية الاسلامية. دمشق، سوريا: دار الفكر.

يونس، عواطف. (٢٠١٧م). تعليم الكبار والتعلم مدى الحياة للجميع بين التراث العربي الإسلامي والثقافة المعاصرة: قراءة في إطار تحولات العصر واحتياجات المجتمع. الإسماعيلية، مصر: مركز تحقيق المخطوطات وجامعة قناة السويس–كلية الآداب والعلوم الانسانية.

الحميدي، عبد الرحمن. (١٩٩٥م). أصول تعليم الكبار: التاريخية– الاجتماعية–الاقتصادية. الطبعة الأولى. الرياض، المملكة العربية السعودية: الفرزدق.

الحلي، أحمد حقي. (١٩٨١م). تعليم الكبار في التراث العربي الإسلامي. مجلة تعليم الجماهير التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مجلد ٨، العدد ٢٠، ص ٣٦–٧٠.

إبراهيم، محمد. وغبار، سالم. وعبد السميع، مصطفى. وكمال، حسن. ومحفوظ، سهير. والصايدي، يحيى. (٢٠٠٩م). تعليم الكبار في الوطن العربي. عمان، الأردن: دار الفكر.

الرواف، هيا. (٢٠٠٢م). تعليم الكبار والتعليم المستمر: لمفهوم–الخصائص–التطبيقات. الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتب التربية العربي لدول الخليج.

الغامدي، عبد الرحمن. (٢٠٠٨م). مدخل الى التربية الإسلامية. الرياض، المملكة العربية السعودية: دار الخريجي.

ايلياس، جون ل. ومريام، شارن. (١٩٩٥م). الأصول الفلسفية لتعليم الكبار (ترجمة: السنبل عبد العزيز. وعرب، صالح). القاهرة، مصر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

المعايطة، عبد العزيز. (٢٠١٥م). المدخل الى أصول التربية الإسلامية. عمان، الأردن: دار الثقافة.

إبراهيم، إبراهيم محمد. (٢٠٠٧م). تعليم الكبار عبر العصور. القاهرة، مصر: جامعة عين شمس – مركز تعليم الكبار.

متولي، مصطفى. (٢٠٠٧م). مدخل الى تاريخ التربية الإسلامية. الرياض، المملكة العربي السعودية: دار الخريجي.